محمد فتحى

شىء من الحب

القاهرة ٢٠٠٤

شيء من الحب

محمد فتحى

الطبعة الأولى

دار ليلى للنشر والإعلان

العنوان الإليكترونى: lilapublishing@yahoo.com

محمول: 3885295 (012)

المدير العام : محمد سامى

المدير التنفيذى : ليلى عبد الله

الغلاف والتجهيزات : دار ليلى للنشر والإعلان

رقم الإيداع : ٥٢٤٣/٢٠٠٤

شيء من الحب

إلى خطيبتي الغالية .. (إلهام جميل)

(١) وجوه تعرفها

راحت الوجوه تتعدد وتتعدد قبل أن تختفى .. ويحل الظلام .

* * *

كل يوم يتفقون على نفس العادات ...

يتقابلون جميعا عند العربة الاخيرة من (مترو الانفاق) فى طريقهم إلى الجامعة .

يندفعون داخلها فى مرح ثم يبدأون يومهم بالصمت الرهيب !!..

علّمهم (عمرو) كيف يصمت الجميع عند بداية تحرك المترو قبل أن يتطلعوا جميعا إلى الخارج ليروا الوجوه تتعدد وتتعدد قبل أن تختفى .

يقول (عمرو) أنها فرصة لنعرف كم أن الدنيا سريعة الحركة ، وندرك أن أجمل صدفة حدثت بها هى أن التقينا واصبحنا أصدقاء .

يصمت الجميع عند تحرك المترو مغادراً المحطة فلا يبقى سوى صوت الآخرين، الذين يكتشفون كم أنه من المزعج أن يتحدث الجميع فى نفس الوقت .

(عصام محروس) رغم كرهه لكل ما يفعله (عمرو) إلا أنه يعترف فى لحظات صدقه مع ذاته - وهى لحظات نادرة - إن هذه الطقوس طقوس فنان مبدع ، أو فيلسوف بدرجة عاشق .

عصام يحب الأدب ، ويكتبه .. شعر وقصة قصيرة ورواية ، وغيرها من فنون الأدب .

يسخر البعض منه احيانا حين يتحدث عن أحلامه بكتابة رواية واحدة تغير شيئا من الآخرين ، وتجعلهم فى حال أفضل وحياة تستحق الحلم المصفى لأخر أمنية !!

لا ينسى عصام قول (محمود درويش) : *" على هذه الارض ما يستحق الحياة !! "* .. ومن وجهة نظره - عصام لا محمود درويش- أن ما يستحق الحياة هو موهبته الأدبية وطموحه الذى يشيد به الجميع ، ولكنه - على الرغم من هذا - ساخط على كل شئ ، ولعل هذا واضحاً فى قصائده .

(داليا ممدوح) تسخر من طريقته فى إلقاء الشعر ، وتقول إن حماسه واندماجه أثناء إلقاء قصائده يجعلان الحروف تتحول إلى رذاذ من لعابه، يغرق من حوله فى منطقة نصف قطرها الأرض ومن عليها!!

فى الواقع .. (داليا) تتمتع بخفة ظل غير طبيعية ، وهى لا تسخر من (عصام) فقط ، ولكنها تسخر من الجميع ، ولو لم تجد من تسخر منه لسخرت من نفسها .

فتاة جميلة هى ، تتمتع بشقاوة بنات جيلها ، تواظب على إدخال نغمات جديدة على تليفونها المحمول ، وتشاهد المسلسلات بانتظام ، وتسافر الى عالم آخر حين تستمع لموسيقى (عمر خيرت) او تقرأ ديوان شعر لـ (نزار قبانى) أو (فاروق جويدة).

تبدأ (داليا) يومها معهم باختراق حاجز الصمت لتلقى بآخر نكتة سمعتها ، ثم تنفرد بـ (سمر) و (عادل) لتدبر مقلب اليوم وتفكر معهم فيمن سيسجل اسمه فى كشف ضحاياها .

تتحرك (داليا) بين مقاعد عربة المترو الأخيرة فى مرح وهى تلقى بتعليقاتها الساخرة على أسماع الأصدقاء ، ولكنها تتحدث اكثر مع (عمرو الصاوى) .

ولدا فى نفس المنطقة وربما فى نفس التوقيت تقريبا ، وتربيا سويا لدرجة جعلتهما أصدقاء لدرجة قد لا يفهمها البعض .

كانــا يتبــادلان روايـــات (احســـان عبدالقــدوس) ، و(يوســـف السباعى) ويبكيان فـى قصص (محمد المنسى قنديل) وينتظران ان يتزوج (أدهم) من (منـى) وأن يمنّ عليهما (نبيل فـارق) - ولـو لمرة واحدة - بفرحة خالصة لا تشوبها اصابة أو فقدان ذاكرة أو ضياع أعز الأصدقاء إلى الأبد .

ميعاد لقاء الجميع جعلهم مألوفين الى حد كبير لكل من اعتادوا ركوب المترو فى نفس الوقت كل يوم .

اقاموا صداقات غير معلنة ، فمجرد نظرة صغيرة تكفى لكى يعرف هذا العجوز بجوار النافذة أن (عمرو) يقول لـه: "صباح الخير" أو أن (داليا) تسأله عن احواله أو أن (منـى) و(نرمين) ينتظران أن يقوم الجالسان امامه حتى يجدا مقعدا لهما ، وهما فى انتظار (حاتم) الذى سيصعد من محطة المعادى .

(منى) و(نرمين) حالة نادرة فى الصداقة ..

تظنهما للوهلة الاولى توأمتان او شقيقتان ، شبه غريب بينهما رغم كونهما مجرد اصدقاء .

" عفوا .. هل قلت مجرد اصدقاء ؟! "

قالتها (منى) ذات مرة لـ (حاتم) فى استنكار ..

- " (نرمين) أكثر من شقيقتى ، تعارفنا لأول مرة فى الحضانة حين كنا نبكى سويا بعد ان تتركنا امهاتنا وتعودان الى المنزل . من يومها لم نفترق ابدا . نبكى سويا ونضحك سويا ونتقاسم الامل . "

(منى) مرتبطة ايضا بـ (حاتم) ، وهو على وشك التقدم لخطبتها بعد امتحانات نهاية العام .

- " حين ماتت والدة نرمين (والكلام على لسان منى) شعرت اننى كبرت اعواما كثيرة ، واعتبرتها ابنتى لا مجرد صديقتى الوحيدة . هل تصدق هذا ؟! "

(حاتم) لابد وأنه يصدق ، خاصة وأن كل حديث (منى) تقريبا عن (نرمين) وعن صداقتهما االنادرة التى هى أقوى من مشاعر البشر !!

كان (حاتم) يندهش فى البداية من هذا الحديث المكرر فى مغزاه والجديد فى مفرداته كل يوم .

- " كان يجب ان تصبحى اديبة "

يقول (حاتم) ساخرا لـ (منى) التى ترد بجدية شديدة :

- " حينما تحب شخصا بحق، تجد نفسك قادرا على ابتكار مفردات

خاصة حينما تتحدث عنه . "

بمجرد أن يستمع (عصام) لمثل هذا الكلام يتحمس وينطلق :

- " كلامك صحيح يا (منى) . "

تفاجأ (منى) التى لم تكن تظن بأن صوتها عاليا لهذه الدرجة أو ربما لم تكن تظن أن (عصام) بهذه الدرجة من التطفل .. يكمل (عصام) فى حماس :

- " نزار قبانى يقول :

لأن كلام المكاتيب مات
لأن كلام الروايات مات
اريد اختراع طريقة عشق
أحبك فيها بلا كلمات . "

يضحك البعض ويصفق البعض الآخر و(عصام) فى أفضل حالاته المعنوية .

- " أغلب الظن أن (عصام) شمَّ رائحة أدب فى الموضوع فوضع فيه أنفه . "

تقولها (داليا) ساخرة فيضحك الجميع .

(عمرو) وحده يبتسم فى وقار يكسبه وسامة وجاذبية ..

(عمرو) وحده يراجع ما قيل وما يقال وما يمكن ان يقال قبل أن ينطق بكلمة .

" كلامــه مـــــوزون " *كما يقول الجميع*

" عقله اكبر من سنِّــه " كما يؤكد اساتذته

- " الأستاذ (رصين) عنده تعليق ؟! "

تقولها (داليا) فى مرح، فيواصل الجميع ضحكهم ويضحك (عمرو) معهم وهو يردد داخل نفسه كلما نظر إلى (حاتم) و(منى):

- " متى ؟! "

يقولها فى شجن .. ، أو فى شوق إلى هذا الشعور الجميل ..

" الحـــــــب "

* * *

كل شئ فى فيلا (عزّالدين الصاوى) يوحى بحدث هام .. رجل أعمال بحجمه قد يصبح وزيرا فى يوم ما لو سعى وراء المنصب ، ولكنه لا يريد أن ينسى اصله كما يردد دائما .

(عمرو) و(غادة) هما كل ما فى دنياه من خير ، و(سلمى) زوجته - ووالدتهما - هى نبع الحب الذى ينهل منه الجميع .

يـرى (الصـاوى) بـك - كمـا يناديـه النــاس - أن الله - سـبحانه وتعـالى- رضــى عنــه حينمــا رزقــه بزوجــة صــالحة مثـل (سـلمى المصرى)، التى لازالت تحتفظ بنضارتها الأولى وألقها الخاص، منذ أن رآها لأول مرة قبل عشرين عاما أو يزيد .

كـان مبتدئا فـى عـالم الإقتصـاد والأعمـال الحـرة ،ثم قابلهـا عندما كانت تعمل ممرضة تسهر على راحة والده، الذى كـان مريضـا بدستة أمراض قابلة للزيادة أو الإختفاء للأبد بموته ..

وقد كان .

لم تكن لهـا عائلـة ، وكـان مـن الممكن أن يكون نـذلا معهـا خاصـة وأنها احبته ، ولكنـه ابًـى أن تكون أول بطولـة مطلقـة لـه علـى مسرح الحياة فى دور نذل .

تزوجهـا ، وانجبـا (عمـرو) و(غـادة) ، وصـارت الحيـاة أفضل وأفضل بهما ، ولكن الشئ الذى يحيره دائمـا هو الحزن الغامض فـى نظرات (سلمى) .

يتحـرك (عزًالـدين الصـاوى) فـى ارجـاء الفـيلا معطيـا توجيهاتـه للخدم .. يتعامل معهم ببساطة المودة والالفة ، فمعظمهم يخدمونه منذ زمن الأستاذ (عزّ) ، مرورا بالحاج (عزّ) ووصولا إلى (الصـاوى) بك ..

كلهم شاركوا فى تربية (عمرو) و(غادة) بشكل أو آخر ، وها هم اليوم يستعدون لحفل زفاف هذه الأخيرة .

(سلمى) لازالت مختفية !!

سأل عنها (الصاوى) فعرف أنها لم تخرج من غرفتها منذ الصباح ، وحتى (عمرو) لم يعد من الجامعة حتى الآن .

يدهشه (عمرو) حتى بعد أن تعدى العشرين من عمره .

حين نجح (عمرو) فى الثانوية العامة عرض عليه والده أن يهديه سيارة معتقدا أن ابنه الوحيد سيطير فرحا بها خاصة وأن هذا يعد بذخاً بالنسبة لمن هم فى مثل سنه ، ولكن (عمرو) رفض .

- " فكرة عبقرية يا ابى ولكن لدىّ افكارى الخاصة . "

ابنه يتحدث مثل المفكرين والمثقفين فى البرامج الحوارية السخيفة التى يصادف وجودها دائما فى التليفزيون عندما يشاهده فى أوقات فراغه .

- " وهل يرفض أحد مثل هذه الهدية من والده ؟! "
- " نعم ، اذا كانت ستبعده عن الآخرين ممن يحبهم . "

(عمرو) لا يفعل شيئاً تقريباً سوى القراءة ....

- " الولد تعدى منذ فترة مرحلة قراءة القصص الرومانسية التى يقرأها المراهقون ممن هم فى مثل سنه ، ويقرأ حاليا فى الفلسفة والأدب العالمى المترجم . "

تقول (سلمى) هذا الكلام دائما وفى عينيها مسحة الحزن المجهولة التى لا يعرف احد متى تركت بصمتها على ملامحها .

تفهم ابنها أكثر من الجميع ..

- " (عمرو) لا يريد أن يبتعد عن أصدقائه ، يشعر أن ثروة والده قد تكون حاجزا كبيرا بينه وبينهم . "

يقسم (الصاوى) أن هذا ليس السبب الوحيد ، وإنما ما يقرأه ابنه فى صحف المعارضة عن أمريكا والمقاطعة وكل المصطلحات التى لا يحبها أبدا .

(عمرو) يكره السياسة مثل كرهه لإبليس الذى اغوى (آدم) و(حواء) فأذلهما واخرجهما من الجنة .

يدعو (عمرو) فى صلاته :

" اللهم ابعدنى عن السياسة وعمن يحبون السياسة

وعن أى عمل يقربنى إلى السياسة . " !!

(عزالدين الصاوى) رغم ذلك يحبه أكثر من حبه لكل مباهج الدنيا مجتمعة ، يرى أن ثروته سببها - بخلاف خوفه من الله - هو أنه أحسن تربية (عمرو) و(غادة) .

- " آآآآآآآآآه .. غـادة يا زهرتى الجميلة . "

تتردد الآهات داخل (الصاوى) وهو يشرف على الترتيبات الأخيرة لحفل زفاف ابنته .

كبرت (غادة) سريعا ....

(غادة) الجميلة التى لازال يحتفظ بفواتير الكادليز الذى استهلكته ، أنهت دراستها بقسم اللغة الإنجليزية فى كلية الآداب لتجد طابورا من المتقدمين لها للحصول على مقعد فى قلبها الذى يحب الى مالانهاية .

تشبه أمها كثيرا و ....

فجأة تذكر أمها التى لم تخرج من غرفتها حتى الآن !..

لا يعرف لماذا شعر بالتوتر فجأة وهو يرتقى السلم فى خطوات سريعة سرعان ما تحولت لعدو وهو فى طريقه إلى غرفة النوم ..

وبمجرد أن فتح باب الغرفة ، ارتد مصعوقا ، فقد كانت (سلمى المصرى) ملقاة على أرض الغرفة دون ادنى تعبير للحياة .

* * *

(٢) حب يؤلم بالتقادم

صفحة من مذكرات (عمرو الصاوى)

يؤلمنى الحلم الذى أدمنته ..

يؤلمنى انتظاره ، وتؤلمنى لهفتى على تحقيقه ..

قرأت ذات مرة فى رواية ساحر الصحراء لـ(باولو كويلهو)* أن لكل انسان اسطورته الذاتية التى يجب أن يسعى إلى تحقيقها فى يوم ما .

تتضافر مجهودات القدر مع بكارة الأحلام النقية لتحقيق الأمنيات المستحيلة اذا ما سعى الإنسان لذلك .

يؤلمنى اننى أعرف إسطورتى الذاتية ولا أعرف كيف اسعى إليها..

(داليا) الوغدة تقول لى عندما أروى لها حلم كل يوم :

- " احكم شد الغطاء أثناء نومك . "

رغم كون (داليا) متهورة احيانا وساخرة دائما ولسانها قد تبرأ

منها منذ فجر التاريخ إلا أنها ليست تافهة كما قد يظنها البعض ، كذلك فإن قلبها يكاد يكون أطيب قلب فى (وسط البلد) حيث تسكن .

أستطيع أن أقول أنها صديقتى الأنتيم لحين إشعار آخر ...

تذكرنى بـ (غادة) ، غير أن شقيقتى - الوحيدة - لا تملك مثل لسانها .

الأمس كان يوما عصيبا ...

عدت من الجامعة لأجد أمى وقد أصيبت بغيبوبة السكر التى لم تهاجمها منذ فترة ..

والدى لام نفسه كثيرا لأنه انشغل عنها فى ترتيبات حفل زفاف (غادة) ونسى أنها كانت متعبة بعض الشئ فى الصباح ، ولكنه - والحمد لله - تمكن من اسعافها لتلحق بالحفل من بدايته .

لبى الجميع دعوتى لحضور الحفل الذى كان رائعا لولا أننى بكيت فيه لأول مرة منذ زمن دون أن أرى الغروب .

لمحتنى (داليا) وأنا أبكى واتجهت ناحيتى ولكننى كنت قد اختفيت حين وصلت لمكانى .

سيسخر منى الجميع لو اخبرتهم بسبب بكائى ، ولكن (غادة) شقيقتى الكبرى هى أمى الثانية - رغم أن فارق السن بيننا ضئيل جدا- ولا أتحمل أن أراها بين يدى رجل آخر حتى ولو كان زوجها .

سيستوطن أحضانها التى كنت احتكرها فى نوبات حزنى وانتظارى للحلم .. سيصحو من نومه على ابتسامتها التى كانت دائما أبدا طريقى إلى يوم آخر، اضيفه إلى عمرى راضيا .

(الشلة) كلها كانت متألقة، خاصة وهم يربتون على كتفى ويقولون لى :

- " العقبى لك . "

رقصت مع (داليا) -Slow- بعد إن طلبت منى والدتها هذا .. والدتى ووالدتها على علاقة طيبة منذ كانتا جارتان .

أنا و(داليا) كذلك ، خاصة وأننا نشأنا معا قبل أن ننتقل إلى مسكن آخر، تاركين (شبرا) وأجمل ذكريات الطفولة .

(داليا) تسكن حاليا فى (وسط البلد) بعد أن توفى والدها وتزوجت أمها من آخر .. يعرف الجميع مدى صداقتنا ويحسدوننا عليها .

(داليا) كانت رائعة ، ولكن شقيقتى كانت أكثر روعة .

قبلتها كثيرا - أختى طبعا لا (داليا) - عنداً فى زوجها وكأننى اغيظه ، ولكننى احسست أنه قد انتصر حينما ركبت معه السيارة ورحلت ، ومعها ..

رحل جزء من قلبى .

تحسست فراشها وحاولت أن أجد شيئا منها ، ولو خصلة من شعرها الذى كانت تشكو من تساقطه بالأمس القريب فلم أشعر سوى بالبرد الشديد .

تدثرت بغطائها ، ونمت على فراشها محتضنا ذكرياتنا معا .

سأفتقدها بالطبع ، وكذلك تلك القطعة من قلبى .

ترى .. هل سيعوضنى الحلم ؟

هــــل ؟!

* * *

تمر السنون والجرح لا يزال ينزف يا (سلمى) يا (مصرى) ...

كل الأفراح لم تنجح فى إفقادك ذاكرة الجرح الذى مرّ عليه أكثر من ثلاثين عاما بنجاح منقطع النظير !!

تستمد قوتها من (عمرو) و(غادة) ورغبتها فى الحياة من زوجها (عزّ) ومعاملته الكريمة التى لم تغيرها الأيام .

(سلمى) خمسينية العمر ، لم تنجح خماسين الزمن فى إطفاء ألقها الخاص، أو جمالها المخبأ خلف ستائر الحزن والشجن .

حياة (سلمى) تصلح فيلم سينمائى ولكنها أبدا لا تتحدث عنها .. تخشى من مواجهة الجميع بحقيقتها التى لا يعرفها سوى الله .

تهاجمها صور و ذكريات الماضى قبل كل وعكة صحية تلم بها ، ويزداد جرح السنين نزفاً وهى تستعد لاستقبال أى فرحة تتحول بعد هذا الشعور إلى سراب وزيف .

من حسن حظها أن (عزّ) لم يسألها عن الصندوق الصغير الذى كان بجانبها عندما سقطت بفعل غيبوبة السكر .

(عزّ) طيب جدا .. هو الذى أكرمها ،وجعل منها انسانة جديدة ، رغم كل الذكريات التى تحاصرها وتجلدها بأسواط من الجحيم ذاته .

يأتى لها (يوسف) دائما فى كل وقت ..

يأتى حاملا دماءه ودهشة الأرض ممزوجة بألم الكون كله يرتسمان على وجهه ....

- " يوسف .. أنا لا اعرفك ! "

- " يكفينى أننى اعرفك "

- " واذا قلت اننى لا أحبك "

- " يكفينى أننى أحبك "

الزمن يتبدل يا (سلمى) والكلمات باقية ، والحب لا يفنى ولا يستحدث من عدم !!

السويس - آنذاك - كانت مختلفة تماما عن الآن ..

الكل يبحث عن كرامته المفقودة بعد نكسة عام ١٩٦٧م ، و(سلمى المصرى) هى حكاية هذا الحى الصغير من أحياء السويس .

مات كل من يمت إليها بصلة قرابة فى حرب أو فى هجمة فدائية أو غارة غادرة أو بالحسرة على الذين ذهبوا من العائلة فى حروب مصر المحروسة .

لم يتبق لها فى الدنيا سوى الارقام ...

تعيد تشكيلها وتكوينها فيتكون الرقم الذى يطعنها ويحمل إليها ذكرى مؤلمة ..

(٨) فى خانة الآحاد و (٤) فى خانة العشرات و (٩) فى خانة

المئات و(١) فى خانة الآلاف = ١٩٤٨.. عام النكسة واستشهاد شقيقها الأكبر فى حرب فلسطين بسبب أحد الأسلحة الفاسدة .

كانت تكرر اللعبة فتصنع ١٩٥٦ او ١٩٦٧ وتتذكر وتتألم ...

(١) فقط فى القلب

(١) فقط اسمه يوسف

لا تتذكر متى عرفته ، ولكنها تعرف أن حبه قدر ، ومن يهرب من القدر ؟!

- *" نعم يا (سلمى) : من يهرب من القدر؟! "*

الغريب أنها لازالت تحبه رغم ما حدث !

تحبه حتى بعد أن ...

- " أمازلت نائمة يا (سلمى) ؟! "

همس (عزّ) بالكلمة فتوقف شريط الذكريات عن الدوران مؤقتا .

أفاقت من نوبة كل يوم على كلماته الهامسة ففتحت عينيها مدركة أن يوما جديدا فى انتظارها ، وعذاب جديد سيأتى معه حاملا كرنفالا من الألم الذى لا ينتهى .

قبلّها زوجها من جبينها ثم تطلع إليها قليلا قبل أن يفاجئها بالسؤال :

- " أى صندوق هذا الذى كان بجانبك وقت داهمتك أزمة السكر يا (سلمى) ؟ "

لم ترد .

اكتفت بأن أغمضت عينيها مرة أخرى .

تظاهرت بالتعب والإرهاق ، ولكنها لم تستطيع - أبدا - أن تهرب من ذكرياتها .
أو من حبها الذى لازال يؤلمها ...
كالمعتاد .

* * *

- *(ساصيــر يومـا مـــا اريـــــــد)* *

يردد (عصام محروس) كلمات (محمود درويش) داخله منذ أن قرأها لأول مرة فى ديوان صدر عن مكتبه الأسرة .

يتهمونه بالسخط ، وينسون أنهم وقحون !!

يقولون أنه ساخط على كل شئ ، ولا يعرفون أنهم سبب سخطه .

- " خذ عندك مثلا (عمرو الصاوى) .. دخل الجامعة حتى يشعرنا بالمهانة والذل .. ترك الجامعة الأمريكية، لأنه لا يستطيع أن يكون أفضل ممن هناك، ولكنه يستطيع بأموال والده أن يصبح أفضل ممن فى جامعتنا بأكملها . "

لا أحد يعرف لماذا يعادى (عصام) (عمرو) ، ولا يستطيعون أن يحددوا، هل يكرهه أم يكره كونه غنيا أم يكره إلتفاف الجميع حوله .

" شخص أفَّاق، يظن أنه الوحيد الذى يقرأ (تشيكوف) و(ماركيز) و (داريوفو) .. لا يعرف أن هناك من هم أفضل منه ولكنهم لا يتباهون بثقافتهم لأنها حقيقية ، وليست زائفة . "

(عصام) يرى أن (عمرو) شخص مدَّعى فى كل مجالات الحياة.. يدَّعى الثقافة على الرغم من أنه ....

" قراءاته سطحية ، وربما يقرأ ملخصات للكتب والروايات ثم يأتى ليتفاخر بأنه أنهى قراءتها فى جلسات قليلة "

يدَّعى الحكمة ..

" ولا ينطق إلا بكلام مسروق من كتب فلسفة قديمة لعله وجدها على سور الأزبكية . "

ويموت (عصام) كمداً، لأن الفتيات يحببن (عمرو) ويرونه فارس أحلامهن..

" الأموال تفعل كل شئ ، ولو عندى أمواله لكنت الآن (دون جوان) الدفعة ! "

(عمرو الصاوى) ممثل بارع من وجهة نظر (عصام) ..

" يقول لك أن الوجوه تمر سريعا مثل الحياة بينما هو ينظر إلى الواقفات على رصيف المترو ، ولعله يواعد بعضهن سرا . "

يؤكد (عصام) أن موهبة (عمرو) التمثيلية تتجلى فى أبهى صورها أثناء عودتهم من الجامعة لو حدث وصادفهم غروب الشمس.

مسألة غروب الشمس وحدها تجعل (عصام) فى حالة غير طبيعية خاصة عندما ينظر فى ذات الوقت إلى (عمرو) .. تدمع عينا (عمرو) فى وقت الغروب دون سبب ، (عصام) يرى أن السبب هو " *أحد أنواع الرمد الربيعى* " ثم تسيل على صفحة وجهه دون أدنى جهد ..

" شخص عنده الغدة الدمعية تالفة عند الغروب .. هل هذا يجعل البنات تحبه يا عالم !! "

أكثر ما يميز (عمرو) أنه رومانسى حتى النخاع

" الغروب وقت يختنق فيه النهار ليعطى الحياة لليل ثم يبحث عن أمل للحياة فى يوم جديد "

يقول (عمرو) هذا وسط نظرات الإعجاب التى لا يبالى بها ..

يرد (عصام) فى غيظ :

- " كل هذا كذب وخداع وتمثيل و ... و ... و ... "

تنطلق مدفعية لسانه الثقيلة ، والجميع يضحك على أسلوبه .

رغم هذا فهو لا يستطيع الاستغناء عنه ، وكذلك هم ..

يعيش (عصام محروس) مع والده المسن وحدهما فى منزل صغير فى أحد الأحياء الشعبية الفقيرة .

شقيقته الوحيدة تزوجت من خليجى، يقضى العام كله فى أمريكا، ولا يفكران فى السؤال عنه أو عن أبيه .

أبوه خرج على المعاش منذ فترة ولم يعد يفعل سوى شيئان ..

صباحا .. قراءة القرأن ومحاولة حفظه على كبر قبل أن يفوت الوقت للأبد ..

مساءا .. محاولاته الدؤوب للإتصال ببرامج التليفزيون التى تبث

على الهواء مباشرة ..

ينتهى البرنامج ليبدأ برنامج آخر ، وجميع الخطوط مشغولة الأب لا ييأس أبدا ، ولا يتوقف عن محاولاته إلا بعد أن يكتشف أن الساعة قد تعدت الثانية عشر ، وأنه لابد أن ينام قليلا قبل صلاة الفجر.

(عصام) لا يبالى بذلك طالما هو يفعل ما يحب .

كان يدخر من مصروفه الشحيح حتى يشترى الروايات والدواوين لعباقرة الأدب فى مصر والعالم ، ومؤخرا استطاع أن يعمل صحفيـ بالقطعة فى إحدى الصحف الجديدة .

" ساصير يوما ما اريد "

ساخط نعم ... ولكنه لا ييأس ، ولن يفعل ابدا .

" أتعرفون ؟!! .. أنا أفضل من (عمرو) و(داليا) وغيرهم من ميسورى الحال ، ينجحون لأنهم مستريحون ، أما أنا فأحصد نفس تقديراتهم على الرغم من أننى لا أنام سوى أربع ساعات فقط ولا

أتناول سوى وجبتين فقط توفيرا للنفقات .. مابالكم لو أننى أمتلك ما يمتلكون .. حتما لكنت الآن (نجيب محفوظ) "

شطحات (عصام محروس) يجب ألا يؤاخذ عليها .

اعتاد الجميع عليه هكذا وأحبوه كما هو .

تظهر جميع مشاعر (عصام) على ملامحه وفى حديثه ...

- " لأننى شخص نقى ، وما فى قلبى على لسانى . "

يُصرِّح بكل ما فى نفسه عدا شئ واحد لا يعترف به إلا فى داخله..

حبه لـ (داليا)

(داليا ممدوح) ...

***

(٣) قلوب اخرى :

صفحة من مذكرات (عمرو الصاوى) ...

أخيرا تكلمت فتاة الحلم ..

لأول مرة أسمع صوتها بعد أن كانت لقاءاتنا تقتصر على مجرد رؤيتى لها وهى تلوّح من بعيد وتحتضننى بابتسامتها فى هالة من حب..

كان صوتها مألوفا بعض الشئ ، ولكن لهفتى للحديث معها جعلتنى لا اميزه .

لا أعرف لماذا سألتها : " متى تأتين ؟! " .. إلا اننى ولدت من جديد حين قالت لى قريبا!

اخبرتنى امى عندما استيقظت أننى كنت ابتسم أثناء نومى ..

اتسعت ابتسامتى وأنا اخطو داخل الكلية ...

" قريبــا "

ظلت الكلمة تتردد وأنا انظر حولى باحثا عنها فى كل الوجوه

والاصوات ولكننى لم اجدها ..

لم اجدها ابدا .

* * *

- " لماذا تأخرت ؟! "

اصطدمت (داليا) بالعبارة التى ألقاها زوج والدتها فى غضب لا تعرف لماذا تذكرت رجال البوليس السياسى فى الأفلام القديمة حين تطلعت إليه فى هدوء وهى تبتسم ابتسامة مستفزة ..

- " محاضراتك تنتهى فى الثالثة ، والمسافة إلى هنا تستغرق ساعة ، ساعطيك نصف ساعة تأخير كرما منى .. أى أنك يجب أن تكونى هنا منذ ساعتين مضوا . "

تواصل (داليا) ابتسامتها المستفزة التى تجعل زوج أمها فى حالة اشبه بالجنون ، وتظهر أمها فى المشهد بعد أن كانت فى خلفيته...

- " ردى على والدك يا (داليا) . "

- " والدى ؟؟!! . والدى مات يا امى وأنت تعرفين ذلك جيدا . "

يرد زوج أمها غاضبا :

- " ولكننى فى مقام والدك .. يجب أن تأتمرين بأمرى وتنفذى ما اقوله لك باحترام ودون أى تعليق سخيف .. أنا المسئول عن تربيتك و... "

ترد سريعا :

- " ولماذا لا تربى دجاج .. ألن يكون هذا افضل ؟ "

يحاول الرد ولكنها تكمل فى لامبالاة :

- " أو كلاب .. وستضمن حينئذ وفائها .. أو قطط وسأضمن لك معها مستقبل نظيف خالى من التعليقات السخيفة ، لأنها ستكتفى بالمواء دون ابداء سبب . "

- " أيتها الـ ..... "

- " لا تسبنى !! .. يمكنك أن تحاول تربية أى كائن حى باستثنائى، لأننى تربيت جيدا ولا احتاج إلى تربيتك . "

تركته ثم دخلت غرفتها واغلقتها خلفها على خلفية صوت زوج أمها وهو يوبخ أمها ويتحدث عن بنات اخر زمن وكيف أنهن لا

يحترمن من يربونهن .

تلغى (داليا) ببراعة احساسها بحديثه وصوته المزعج ، فيخفت الصوت تدريجيا حتى يتلاشى مع الأغنية التى ترددها (داليا) وكأنما هى وحدها فى هذا الكون .

تُشَغِّل الكمبيوتر ، وتتأكد من عدم وجود رسائل لها فى بريدها الاليكترونى .

الـ (Screen Saver) التى تعمل عندما تترك الكمبيوتر للحظات دون أن تستخدمه هى صورة لوالدها الراحل محاطة بصور صغيرة لهما فى عدة مناسبات منذ حداثة ولادتها وحتى غادر والدها الحياة الى حيث لا عودة ..

منذ أيام قليلة كانت الذكرى الرابعة لوفاة والدها ..

لم تتذكر أمها ذلك ، والدليل أنها قد قضت هذا اليوم مع زوجها فى الأقصر بحجة قضاء بعض الأعمال .

دائما تسأل (داليا) نفسها :

ـ " هل كانت مصادفة أن تتزوج أمى فى الذكرى الثانية لوفاة والدى ، وأن تتركنى فى نفس الوقت من كل عام لتحتفل بعيد زواجها

بينما أموت أنا هنا وحدى ؟! " .

تخاف أن تنطق بالإجابة ، وتخترع اجابات وهمية لأى أسئلة أخرى بخلاف هذا السؤال .

قالت لها والدتها قبل أن تتزوج إن أرملة شابة وابنة صغيرة يحتاجان حتما إلى رجل . لا تعترف (داليا) بالإحتياجات التى اخترعتها والدتها خصيصا قبل زواجها على اعتبار أن كل هذه الاحتياجات لن يلبيها سوى رجل واحد .

تحاول والدتها دائما الإساءة إلى ذكراه .

تقول أنه لم يكن يحب أن ينجب فتاة ، ولذلك تنازل عن معظم ما يملك لاخوته وعائلته .

والدها - ضابط الشرطة - ترك لهما معاشا يكفل لهما حياة كريمة ومستقرة ، ولكن والدتها تصر على أنهما فى حاجة لرجل .

- " لن يتركنا الناس فى حالنا بدون رجل . "

نفذت امها ما تريد رغما عنها ، وتزوجت بعد عامين من نفس اليوم الذى مات فيه والدها ..

- " امى تختار الأوقات جيدا . "

تهرب (داليا) من زوج والدتها المتسلط إلى صورها مع والدها..

تكتب خواطرها ومذكراتها يوميا كما علمها قبل أن يرحل ..

أحبت ذلك جدا ، ووجدت فيه عالما اخر هو افضل - بكل تأكيد - من عالم المنزل الكئيب ، وأفضل حتى من (عالم سمسم) !!

ولكن كل العوالم لا تتساوى مع ذلك العالم الذى عاشت فيه مع (عمرو الصاوى) يوم رقصا سويا فى حفل زفاف شقيقته .

فى وقت مضى لم يكن (عمرو) يمثل لها سوى الصديق الوحيد الذى تتحدث معه فيحتوى أحلامها وطموحاتها وتناقشه فى كل الامور.

مزيج غريب من المشاعر كانت تشعر به تجاهه ..

صداقة احيانا وأخوَّة فى أحيان أخرى واحترام دائما .

معرفته فخر لها لأنه اثَّر على حياتها بشكل كبير ..

لا تحكى عن والدها إلا لـ (عمرو)

هو وحده يستطيع أن يفهمها ويجعلها فى حالة أفضل ..

كم سببت لها هذه الصداقة الكثير من المشكلات لأن باقى زملائهما لم يستوعبوا هذه الصداقة فى بداية الامر ، إلا أنهم سرعان ما ادركوا أن الصداقة كائن حىّ، يستطيع أن يكون جميلاً أو مشوهاً إلى الأبد ..

الصداقة عند (عمرو) لا تزال هى الأفضل .

يقول (عمرو) ان الصداقة الحقيقية تحتوى داخلها كل العلاقات الاخرى ..

" الاصدقاء الحقيقيون يشعرون بكل مشاعر الحب الصادقة، التى يمكن ان تجمع بين انسان واخر تحت أى مسمى ، فيكونا أخوة احيانا او عاشقان فى أحيان اخرى .. ولكنهما يظلا اصدقاء الى الابد . "

الصداقة عند (داليا) لم تختلف إلا عندما أحبت (عمرو) ...

" كل المسميات فى الحب لا قيمة لها لأننا - وللأسف - لم نتوصل لكلمة اجمل من كلمة (احبك) عندما نقولها لمن نحب . "

(عمرو) اصبح بالنسبة لها كل شئ ..

" آه يا (عمرو) لو تعرف كم احبك !! "

اشجع فتاة هى التى تعتَّرف لنفسها انها تحب ..

ولكن الأكثر شجاعة من تنتظر سماع كلمة (احبك) ممن تحب دون أن تلمح له باى شئ بحيث يكون له (المبتدأ) وهى (الخبر) فتصبح الجملة صحيحة !!

تموت (داليا)ببطء حين يتحدث (عمرو) عن (فتاة الحلم) ..

لم تستطع أى فتاة فى الجامعة ان تثير غيرتها لأنها تعرف جيدا كيف يعاملهن (عمرو) ، وكيف أنهن بعيدات تماما عن دائرة اهتمامه ، ولكن شيئا اخر فى (فتاة الحلم) جعل (داليا)تشعر بالغيرة.

" (عمرو) يحب هذه المأفونة . "

تردد (داليا) فى الم ، ويدميها صدى الكلمات .

يتحدث (عمرو) أمامها عن (فتاة الحلم) بكل الحب الذى تتمنى لو كان لها وحدها، لا لفتاة من عالم الأحلام .

وتخاف (داليا) ان يقابلها ذات يوم سيكون - حتما - نهايتها .

صارت تكره الاحلام لانها قد تتحقق للجميع إلا لها ..

فقد يتحقق حلم (عمرو) فيقابل (فتاة الحلم) اما حلمها فلن يتحقق ابدا ..

ترى فى الحلم والدها وهو فى حفل زفافها على (عمرو) وابتسامته تحتضن الجميع .

يمسكها والدها من يد ، ويمسك (عمرو) بالاخرى وهى فى عالم اخر ..

عالم من حب ..

عالم من ....

" لا .. انها احلاااااااااام .. كلها تظل احلام لن تتحقق . "

تصرخ (داليا) داخلها ، والصدى يؤلمها فى كل مرة اكثر من المرة التى سبقتها.

اندهشت (سمر) - صديقة الجامعة - من رد فعلها هذا حين تجرأت ذات مرة وحكت لـ (داليا) عن حلمها:

- " نار تحرق الجميع يا (داليا) "!

- " وبالتأكيد استيقظتِ لتجدى فراشك مبتلا . "

لم تعطها (داليا) اى فرصة لكى تكمل او تعرف منها اى جميع هؤلاء الذين رأتهم فى الحلم .

تتبدل (داليا) بين لحظة واخرى ، ولكن روحها المرحة لا تكشف عن هذا التبدل ، سخريتها من الجميع لا تتغير ابدا .

تحسد (داليا) (منى) و (حاتم) لان حبهما يعرفه الجميع ، ولانهما معا في معظم الاوقات .

" على الاقل (حاتم) ليس ملهوفا على حلم يلحق به أو فتاة سخيفة تظهر له فى الاحلام فقط لتخطفه ممن تحبه "

تقضى (داليا) ليلها وحيدة تفكر ، وتتذكر ، وتتخيل ..

ثم سرعان ما تغضب .

" لان التخيل نوع من الأحلام ، وانا أكره الأحلام .. المستحيلة .. اكرهها .. اكرهها . "

الصدى يتردد ويؤكد خلوده ومفعوله المؤلم .

تحاول ان تهرب ولكن هروبها لا يطول .

سرعان ما تعود مرةاخرى الى الاحلام التى كانت تحبها لانها اجمل من واقعها ، وصارت تكرهها لانها لن تتحقق ابدا .

" آه يا (عمرو) لو تعرف كم احبك !! "

لن يعرف (عمرو) ابدا إلا لو شعر بى

لن يشعر بى إلا اذا كف عن الحلم ، وهذا لن يحدث ابدا .

لن يحدث ..

لن ...

لن ...

لن .....

يتردد الصدى وتنام (داليا) ودموعها - التى لا يراها احد - تبلل وسادتها .. وتدمى قلبها .

* * *

- " نرمين ليست على ما يرام يا امى "

همست (منى) لوالدتها بهذه العبارة وامها تحتضنها كما تعودا دائما قبل ان تخلدا الى النوم .

داعبت والدتها شعرها المسترسل وهى تسألها :

- " لماذا تقولين هذا ؟ .. هل هى مريضة ؟! "

- " لا يا امى . ولكنها ليست كما اعتدتها . "

ظهرت التساؤلات على وجه امها التى تعرف جيدا ماذا تعنى (ترمين) بالنسبة لابنتها .

تنهدت (منى) قبل ان تكمل :

- " تصرفاتها غريبة فى الفترة الاخيرة ، واشعر انها تخفى عنى شيئا لا تريد ان تخبرنى به بينما هى تتعذب بكتمانه ، حيرتنى يا أمى... "

حاولت ان تكمل ولكنها لم تستطع تشعر ان امها فهمتها وادركت ما تعانيه..

قبلتها على جبينها وتربيتة يديها اخبرتها بهذا..

تحكى (منى) لوالدتها عن كل شئ ، عن الجامعة والمحاضرات والاصدقاء وعن (حاتم) ..

الأم نفسها شئ مختلف .

ترى ان ما يجب على كل ام فعله هو الاقتراب من ابنتها للدرجة التى لا تجعلها تخجل من مصارحتها باى شئ .. اى شئ .

تردد لابنتها دائما :

- " انا عاشقة قديمة ، وقلبى لا ينتهى تاريخ صلاحيته ابدا "

تعرف (منى) قصة حب والدتها مع والدها ، وتحكى لها الام عما ينبغى ان يحكى لفتاة فى العشرين من عمرها .. تتحدث (منى) عن (حاتم) لـ (نرمين) ووالدتها التى تراقب النمو الطبيعى لقصة حب جميل قد تنتهى قريبا بالارتباط الرسمى ، تدع ابنتها تجرب مادامت التجربة تحت سمعها وبصرها .

لم تصارحها والدتها طبعا عن مخاوفها التى تدور داخلها ، والقلق الذى هو جزء من طبيعة كل ام تراقب ابنتها الوحيدة فى قصة حب ، تؤمن انها طالما لا تفعل ما يغضب الله وما يتنافى مع الاخلاق فلا توجد مشكلة .

- " انهما لا يتقابلان سوى فى الكلية باعتبارهما زملاء ، ولا يتواجدان الا مع باقى اصدقائهما ، ولا يخرجان ابدا ، ومكالماتهما التليفونية لست طويلة - كما اننى استمعت لبعضها دون ان يلحظا فلم اجد سوى (كلام عادى) .. ما المانع اذن ؟!! "

تقول الام هذا لوالد (منى) وتكمل فى حماس :

- " تفعل الصواب بموافقتنا وتحت اعيننا خير من ان تفعل الخطأ دون ان ندرى الا بعد فوات الاوان . "

لهذا تعتبرها (منى) ام مثالية وعصرية خالية من اى اضطرابات

عقلية !! .. المشكلة ان (منى) - رغم كل هذا - تفتقد (نرمين)

قال لها (عمرو) ذات مرة ...

- " انها الحاجة الى قلب اخر يفتح ابوابه بمجرد الاقتراب منه دون دفع تذكرة دخول او مقدم اتعاب "!!

صارحته (منى) انها تعتقد ان (نرمين) تخفى عنها شيئا ما فنصحها بان تنتظر قليلا ..

- " احيانا لا نحتاج الى البوح قدر احتياجنا البحث عما نبوح به دون خسائر . "

- " ولكننا اصدقاء !! "

- " ولــو ... "

(حاتم) بعيد عن كل هذا

تعرف انه يشعر بها ،ولكنها تكره احساسها بانه لا يبالى .

(حاتم) ايضا تغير فى الفترة الاخيرة ..

تغير كثيرا !!

* * *

(٤) حقائق واوهام :

صفحة من مذكرات (عمرو الصاوى)

(غادة) شقيقتى اخبرتنى انها حامل !..

يا صباح الانجازات القومية العملاقة .. بهذه السرعة !!

اخبرتنى انها ستسميه باسمى لو كان ولدا وباسم والدتى لو كانت بنتا..

قالت لى (داليا) ان زوج (غادة) سينسف بالتأكيد هذا الاقتراح لان له وجهة نظره المستقلة فى هذا الموضوع ، فقد وهبه الله هو الاخر اخا قد يسمى المولود باسمه ، وله ام واربع شقيقات قد يأخذ من كل واحدة منهن حرفا ويسمى المولودة به !!

(داليا) كانت تسخر منى عندما تشاهد الدموع فى عينى وانا اشاهد الغروب اثناء عودتنا من الجامعة .

(عصام) ايضا يظن اننى ابرع ممثل فى التاريخ ، ويؤمن انه سيخلع عنى ذات يوم قناع التمثيل ، ويكتشفنى امام الجميع ، ولكنه ابدا لا يتحدث معى عن هذا بعكس (داليا) التى تقول لى ان دموع

الغروب من اختصاص البنات فقط ، وليست من اختصاص الاولاد خاصة اذا كان شعرهم (فيرذ تشى) واسمهم (عمرو).

تظل تسخر منى وتتحدث عن مشهد الختام فى فيلم (حبيبى دائما) والذى لابد وانه يبكينى بالاضافة لمشهد ختام فيلم (دعاء الكروان) و(حافية على جسر الذهب)، والحلقة الاخيرة من كارتون (غريندايزر) !!

اغضب منها مؤقتا ولا اخبرها بالطبع اننى ابكى بالفعل فى نهاية فيلم (حبيبى دائما) والبطلة تموت بين يدى حبيبها كما ابكى فى نهاية العديد من الروايات التى تصدمنى نهايتها مثل (الحب فى المنفى) لـ (بهاء طاهر) و (انكسار الروح) لـ (محمد المنسى قنديل) .

لا يدرك الجميع اننى لا اتصنع هذا وهو ما يضايقنى خاصة حينما يردد (عصام) وسط الجميع اننى اروج لنفسى هكذا وسط بنات الدفعة !

لا يدركون اننى غير مرتبط سوى بقصة حب واحدة مع فتاة الحلم

التى لا تأتى ابدا ، ولا تسمح لى ان اقترب منها ولو فى الحلم .

(داليا) كانت تسخر منى عندما تشاهد الدموع فى عينى وانا اشاهد الغروب اثناء عودتنا من الجامعة ...

الان فقط تذكرت انها لم تعلق على دموعى اليوم ، وانها ربما كانت تبكى هى الاخرى .

مازلت انتظر فتاة الحلم ..

* * *

يمشى (عصام محروس) وحيدا فى شوراع وسط البلد ..

يعشق التطلع الى من حوله من الناس ...

توحى له وجوههم بالعديد من الافكار التى يكتبها فى كراسة صغيرة تمهيدا لكتابته كروايات او قصص .

يقول (عصام) :

" وراء كل وجه مشاعر وحكايات متناقضة . اذا ما حاولنا تخيلها وتخيل الاحداث التى تحيط بها كتبت اجمل الروايات "

لهذا يحب (عصام) تفكير (عمرو الصاوى) احيانا ..

غير موجودة

من أصل

المصدر

غير موجودة

من أصل

المصدر

- " شقيقتى هذه فألها سئ "

لم ترسل لهما سوى خطابان بعد ان تزوجت منذ ستة اشهر وكلاهما لا يحملان سوى حديثا مكررا عن الشوق اليهم والدعاء لهم فى كل صلاة .

يشاهد (عصام) الناس من حوله وقد تحولوا الى ارقام لا يستطيع ان يحصيها ،و اموال لا يستطيع حتى ان يحلم بامتلاكها .

توقف امام واجهة زجاجية اخرى من واجهات المحال التجارية ، وكان يريد ان يتابع تفكيره فيما يتطلع اليه من شئ ، لولا ان شيئا اخر جعله يذهل .

في جمع انعكاس الوجوه ،على واجهات المحال الزجاجية، رأهما معا وقد صارا متشابكا الأيدى وهما يتحدثان ..

رأى (حاتم) و ...

و (نرمين) .

* * *

" كم انت رائع يا الهى !! "

تردد (داليا) العبارة كل يوم وتشكر الله ان منحها ذكرى حقيقية لا مجرد حلم تنتظره ان يتحقق.
تنام وهى تتذكر يوم رقصت مع (عمرو) فى حفل زفاف شقيقته .

تلقفها بين يديه فى بساطة عندما طلبت منه امها ان يرقصا سويا .

كم كرهت هذا منها ولكنها احبته فى الوقت ذاته لانها تعشق (عمرو).

تفتح مذكراتها وتقرأ ما كتبته يوم عودتها فى هذه الليلة ، وهى تستمع لنفس الاغنية الهادئة التى رقصا عليها من برنامج الـ Mp3 على جهاز الكمبيوتر

خذنى بين ايديك	ودِّينى لقمرة فى السحاب
قلبى بين ايديك	عدالك قلبى الف باب

نسيت العالم كله وانا بين يديك يا حبيبى ولم اكن ارى سوى نور.. يا الله .. عن يمينى نور وعن شمالى نور ، ومن امامى نور ومن خلفى نور ، ثم تجمع كل هذا النور فى وجهك ليحجب عنى كل العالم .

ويجعلنى لا ارى سوى نورك .

عمرى بين ايديـــــــك رجعنى لعمر فات وراح
نسينى الحزن والجراح وسنين التوهة والعذاب

" سافرت معك الى بلاد لم ارها من قبل ، وابحرت بعينى فى تفاصيلك الصغيرة التى اعشقها .. شعرك ، ابتسامتك ، ارتجافة يديك وانت تضحك ، نظراتك التى اتمنى ان ترانى اينما نظرتها ، صوتك الهادئ الرزين ، وكفيك واناملك الرقيقة .

تمنيت ان اختصر عمرى كله لاعيش فى قلبك ولو لليلة واحدة "

ليلة من غرام نسرقها انا وانت م السنيــن
ليلة من غرام ونعيشـها قلوب متشوقيـــن

" يا الله ..

كم كنت غبية حينما سخرت منك ومن نهاية فيلم حبيبى دائما .

اتمناها الان يا حبيبى بين يديك..

لى اجمل ذكرى فى حياتى ولو مت لحظتها فلن اندم ابدا "

ليلة من غـــــرام بغناوى وهمس واشتياق

وكفاية علينا م الفـــراق

والنار والحيرة والانيـن

" آااه لو أنك يا حبيبى حبيبى ..

تربينا سويا فحملتك دائما بين دمائى دواء لكل جروحى والامى .

اعتدت وجودك فى كل لحظة من عمرى واقسمت الا احب سواك "

(عمرى بين ايديك)

" احتاجك الان يا حبيبى ..

واشتاق اليك انت الاخر يا ابى

يالله .. ساعدنى يالله "

مع انتهاء الاغنية تغلق (داليا) دفتر مذكراتها ، وتمسح دموعها الحبيبة التى صارت صديقتها المخلصة .

تقارن (داليا) بين الحقيقة والوهم فى حياتها التى تعيشها ، وتظل تبحث عن اوجه الشبه والاختلاف معتبرة هذه اللعبة هى تسليتها الوحيدة اثناء ذهابها الى اى مكان

اليوم هربت من جو المنزل الممل وقررت دخول السينما .

قالت لامها - التى كانت تنتظر زوجها، وعودته من عمل لا تعلم عنه شيئا - انها بحاجة لتغيير جو .

وافقت امها لان الوقت لم يكن متأخرا

- " لماذا لا تقتربى منها يا (داليا) ؟ .. انها والدتك . "

- " لو أصبحت ضمن اولوياتها يا (عمرو) ، لكن زوجها هو كل شئ بالنسبة لها الان "

- " يا (داليا) لن يتبقى لك سوى والدتك . ولن تدخلى الجنة الا برضاها . "

لا تعرف (داليا) لماذا تذكرت هذاالحوار فجأة ، ولكنها وجدت نفسها تسأل والدتها :

- " لماذا لا تأتين معى ؟! "

ترددت الام قليلا وقد فوجئت بالسؤال فاكملت (داليا) :

- " اخر مرة خرجنا فيها سويا كانت قبل وفاة والدى .. أى منذ اكثر من خمس سنوات "

اندهشت والدتها ، ودمعت عيناها ثم سرعان ما ابتسمت وهى تقول لها :

- " موافقة . "

ابتسمت (داليا) فى فرح حقيقى ، ولكن والدتها اكملت :

- " سنضطر فقط لان نترك ورقة لوالد... اقصد زوجى ،حتى لا يقلق اذا عاد ولم يجدنا "

فرحت (داليا) جدا وهو تتأبط ذراع والدتها وتمشى معها كما كانا يفعلان فى الماضى .

تركت والدتها تتحدث وتتحدث وتتحدث .

وجدت حديثها - رغما عنها - عن زوجها الحالى وكيف انه طيب وحنون فلم تستطع (داليا) ان تستمع .

اعتبرت ان مجرد خروجها مع والدتها وذهابهما الى السينما تقدما مبهرا فى علاقتهما سويا ،فانفصلت عما تحكيه والدتها لتمارس اللعبة التى علمها لها (عمرو) .

" حين تريدين الانفصال عمن حولك حاولى ان تشغلى نفسك بالاسئلة التى لا اجابة لها .. ، و اكتشفي بنفسك كيف تفكرين "

لا تعرف لماذا طرحت على نفسها سؤالا عن الفرق بين الحقيقة والوهم ووالدتها تتحدث وتتحدث ..

الحقيقة ليست حلمًا سخيفاً ولكن الوهم كذلك

دفعت امها ثمن تذاكر السينما فتناولت (داليا) تذكرتها وهى تواصل

الحقيقة تظل دائما مؤلمة والوهم مسكّن ممتاز

ذات مرة حكى لها (عمرو) عن اسطورة اغريقية تقول ان الحقيقة جاءت للناس عارية فلم يقبلوها ..

ذهبت الحقيقة وتزينت وارتدت ثيابا ليست لها ، وحينئذ ..

حينئذ فقط قبلوها !.

الحقيقة هى اننى احب (عمرو) والوهم ان اصارحه بذلك

لم تعبأ بالنظر للخارجين من حفلة السينما التى تسبق حفلتهم وانما راحت تواصل :

الحقيقة تبقى ....

- " (داليا) . هيا بنا "

انتزعتها امها من اللعبة وكأنها تقول لها Game Over..

- " امى!.. ما الذى حدث ؟ "

سألتها (داليا)، عندما فوجئت بها مضطربة، وجذبتها من يدها الى خارج السينما، لا الى داخلها، وهى تسير بسرعة شديدة ..

- " ساخبرك فيما بعد ، ولكن يجب ان نعود الان "

- امى ، ولكن ... "

- " قلت الآن يا (داليا) "

اندهشت (داليا) ولكنها اسرعت الخطا مع امها التى راحت تسير بسرعة فى اول شارع جانبى او فرعى يقابلها من كل طريق ، ولم تستطع (داليا) ان تعلق خاصة وانها تجاهد للحاق بامها وخطواتها السريعة .

الأم وحدها كان لديها تفسير..

فبينما تستعد لدخول السينما مع ابنتها لمحت زوجها يخرج من الحفلة التى انتهت ..
ولم يكن وحده ..
كان مع سيدة اخرى ويده تطوقها وكأنهما عاشقان ..
او زوجان .

* * *

(٥) الصــدمـــة

صفحة من مذكرات (عمرو الصاوى)

(المستحيلات الثلاثة) كنت اظن رابعها ألا تبتعد (منى) عن (نرمين) الا بالموت وحده.

ليستا مجرد زميلتي او صديقتي دراسة بل اكثر من هذا ، حتى اننا كنا نظنهما احيانا شقيقتان بالفعل .

عدم ارتباط (نرمين) عاطفيا يؤلم(منى) وكأن هذه الاخيرة امها التى تريد ان تفرح بها .

ذات مرة فاتحتنى (منى) فى انها تريد ان تفرح بى ، وانها لن تجد لى افضل من (نرمين) !! .. ظننتها تمزح للوهلة الاولى لولا انها الحت علىَّ فى حماس خاصة واننى جاهز ولا يعطلنى سوى الدراسة .

اندهشت من شعورى بانها تلعب دور امى انا الاخرى ، واعتذرت لها واخبرتها اننى مرتبط بالفعل بفتاة لا تعرفها .

لم اكن اكذب عليها لاننى بالفعل مرتبط بفتاة لم اعثر عليها بعد .. (فتاة الحلم) .. ، ولم يكن احد يعرف هذا سوى (داليا) .

كنت اشفق على (منى) وحبها الشديد لـ (نرمين) قلقها الدائم عليها ، ولم اكن اعرف كيف يتحملها (حاتم) خاصة وانها تتحدث معه عن (نرمين) اغلب الوقت .

امس فوجئنا جميعا بعدم مجئ (منى) و (نرمين) بل و (حاتم) ايضا ، اما اليوم فكانت المفاجأة الكبرى .

(منى) - لاول مرة - جاءت بدون (نرمين) التى لم تأت لا هي ولا (حاتم) ..

كلنا لاحظنا التغير على وجه (منى) الذى كاد يحاكى وجوه الموتى ، ولكننى وحدى عرفت السبب فيما بعد، حين اخبرتنى - من بين دموعها - ان (نرمين) و(حاتم) مرتبطان منذ فترة ، وان كلاهما اعترف لها بهذا بعد ان رآهما (عصام محروس) سويا فى (وسط البلد) .

لم تصدق (عصام) ولكنها كان يجب ان تصدقهما وهما يطعنانها بكل كلمة قالاها حين اعترفا لها .

صُدِمْت وحاولت التهدئة من روعها بعد ان انتحت جانبا وراحت تنتحب في هيستريا .

عرضت عليها ان اقوم بتوصيلها الى منزلها بصحبة (داليا) او احد الزملاء ، ولكنها رفضت بشدة ثم تركتني وانصرفت وسط ذهولى.

لم استطع ان استوعب الموقف حتى الان !..

هل لانها دائمة التحدث عن (نرمين) امام (حاتم) والعكس؟.. أمْ لانها وثقت فيهما لدرجة جعلتهما يقتربا من بعضهما اكثر من اللازم ، أمْ لانه لا يوجد حب حقيقى ولا صداقة حقيقية فى زمن الاحلام التى لا تتحقق .

عندما عدت الى المنزل لا اعرف لماذا اخبرتنى امى ان سعر الذهب في ازدياد ، ولكننى شعرت اننى اشتاق لـ (فتاة الحلم) اكثر من اى وقت مضى ، واحتاجها بشدة .

قرأت عبارة للشاعر والاديب (محمد الماغوط) كتبتها فى مقدمة كشاكيل محاضراتى وقمت بتعليقها على الحائط المواجه للمكتب فى حجرة نومى .

" لا تكن متفوقا فى عالم منحط ..

ستكون مثل بقعة العسل فى عالم من الذباب !!

ستفنى ...

ويبقى الذباب .. !! "

* * *

ستصبحين جدة يا (سلمى) يا (مصرى) ولا تستطيع الفرحة - ايا كانت - ان تدخل قلبك خالصة من جمارك الالم .

تجلسين كل مساء وحيدة وتغلقين باب حجرتك ، ثم تلتقطين صندوق الذكريات المخبأ بعناية خلف جدران الماضى الذى لا يموت .

لم تقاوم طرح اسم (يوسف) كاسم للمولود الجديد لو كان ولدا وحين سألوها عن السبب مندهشين قالت مستدركة :

- " قد يكون بوسامة سيدنا (يوسف) عليه السلام "

استطاعت ببراعة ان تُنسِى (عز) سؤاله عن هذا الصندوق الذى تحتفظ به بقصاصات من صحف قديمة قدم ذكرياتها المؤلمة .

- " بيدى يا يوسف لا بيد غيرى "

تـردد (سلمى) وهـى تنظـر لصـورة فوتوغرافيـة قديمـة يبتسـم فيها (يوسف) ابتسـامته الآسرة.. احبتـه (سلمى) وتمنـت ان تكـون زوجته..

- " ستكونين كذلك رغما عنك "

- " ولماذا الانتظار اذن ؟! "

- " يجب ان انتهى من بعض الاعمال اولا "

- " الاعمال قبلى ؟! "

- " لا .. الاعمال من اجلك يا حبيبتى ، وكل شئ فى دنيتـى بعدك .. انتِ قبل الجميع يا (سلمى) .. صدقينى "

تتذكر (سلمى) وهى تنظر الى الصورة

" بيدى يا (يوسف) لا بيد غيرى ..

بيدى احببتك وبيدى احتضنت الدنيا من حولك وبيدى توجتك ملكا لقلبى ومالكا له "

لم تسأله (سلمى) فى اى مجال يعمل ..

ذات مرة اخبرها من تلقاء ذاته انه يعمل فى التجارة ..

- " تجارة اى شئ ؟ "

- " تجارة كل شئ !! "

يعطيها الاموال اللازمة لتأمين حياتها واحتياجاتها فى فترات غيابه عن السويس ، والجميع يعرفون انها فى مكانة خطيبته ، وان زواجهما قريب .

تعمل (سلمى) بنفسها على مراكب الصيد مع عم (صادق) الذى اصبح ابا ثانيا لها .

" بيدى يا (يوسف) لا بيد غيرى

بيدى اصطفيتك من كل البشر لاحبك ، وبيدى حلّقتُ فى سمائك وجعلتك مركزاً للكون ادور حوله ولا اتعب ابدا ، فيتعاقب الليل والنهار ، ولا ادرك من الزمن سوى ما اقضيه بقربك ، ولا احسب من حياتى الا ما اعيشه بجانبك "

بجانبه كل شئ كان جميلا الى ان جاء هذا اليوم..

اخبرها عم (صادق) ان (يوسف) يتاجر معهم..

- " مع من يا عم (صادق) ؟ "

- " مع اليهود يا (سلمى) ."

اختفت الشمس وراحت دماء عائلتها تصبغ الكون من حولها وصارت المرارة هى الطعم الوحيد الذى استطاعت تمييزه .

" بيدى يا (يوسف) لا بيد غيرى "

تمشى (سلمى المصرى) وهى تشعر ان شوارع السويس تنكرها واهلها يلعنونها فى قبورهم .

لهذا اذن تغير الناس من حولها

لهذا يتحاشون التعامل معها

الكل يعرف وهى اخر من يعلم .

انتظرت مجيئه هذه المرة تحديدا بلهفة الدنيا ..

والاخرة ..

ابلغ عنه عم (صادق) ليقبضوا عليه بمجرد عودته الى السويس..

وحين عاد افلت من الكمين الذى نصب له واختبأ ..

اختبأ فى نفس المكان الذى كان يتقابل فيه مع (سلمى) ..

- " (يوسف) . "

- " (سلمى) .. ساعدينى يا (سلمى) .. انهم يطاردوننى ! "

- " تتاجر يا (يوسف) .. أليس كذلك ؟ "

- " الامر لا علاقة له بالتجارة يا (سلمى) .. انهم يطاردوننى و...... "

اسكتته صفعة قوية ، وبصقة ارتطمت بوجهه و (سلمى) تصرخ :

- " تتاجر فى لحم عائلتى ايها الوغد . "

حاول ان يتكلم وهو يهدئ من روعها ويبكى الما ويهذى بكلام لا تفهمه :

- " الامر ليس كما تتصورين يا (سلمى) صدقينى .. صدقى حبيبك . "

اندفع الى ذراعيها واحاطها وهو يبكى على كتفيها ولكنها همست:

- " بيدى يا (يوسف) لا بيد غيرى "

همست وهى تخرج خنجرا وتزرعه فى جسده..

فى موضع القلب تماما .

- " بيدى احببتك وبيدى قتلتك قبل ان يفعل غيرى "

نظر اليها بكل دهشة والم الكون..

نزعت الخنجر ورأت دماءه فبكت ثم سرعان ما هربت وهو يناديها :

- " سلمى .. قتلتى حبيبك يا سلمى يا مصرى ... "

حبيبك يا سلمى يا مصرى .

حبيبك ...

حبيبك ....

ظل الصدى يتردد داخلها بعد كل هذه السنوات ..

هربت من السويس الى القاهرة بعد ان قيدت الجريمة ضد مجهول!!

اكثر من سبعين فردا اعترفوا انهم قتلوا الخائن وسط ذهول وكيل النيابة .

كانت قضية شهيرة تحدثت عنها الصحف لاسبوع واحد فقط قبل

ان تقوم حرب اكتوبر وتنشغل الصحافة بالنصر العظيم .

وحدها - ودون ادنى مساعدة - هربت من السويس دون ان يعرف احد هذا..

وحدها راحت تعمل فى القاهرة لعشر سنوات متواصلة ، وهى لا تعرف عن السويس سوى ما تقرأه فى الصحف .

جمعت كل ما نشرته الصحف مع كل خطابات (يوسف) وصوره واودعتهم الصندوق الصغير .

الغريب انها لازالت تحبه رغم كل شئ

ولازال الصدى يتردد

" قتلت حبيبك يا (سلمى) يا (مصرى) "

وحتى اليوم لازالت تتألم وهى تتذكر

" بيدى يا (يوسف) لا بيد غيرى "

* * *

كل شئ كان يدفع (داليا) الى الجنون .

بالامس عندما عادت مع والدتها من السينما التى لم تدخلها هى ووالدتها لم تعطها هذه الاخيرة فرصة لاى سؤال .

- " (داليا) .. انا متعبة الان "

تركتها ودخلت غرفتها وهى تنتحب وحينما ارادت ان تطمئن عليها قالت لها امها انها نائمة وستراها فيما بعد .

دخل زوج والدتها من باب الشقة فى نفس اللحظة فتطلعت اليه فى ازدراء مستفز قبل ان تدخل غرفتها هى الاخرى .

اما اليوم فقد كانت حالتها النفسية اكثر سوءا .

لم توافق على الاشتراك فى رحلة (جيرولاند) لأن (عمرو) لن يكون بها..

تعلل بانه متعب ويريد بعض الراحة .

تأخر (عمرو) اليوم عن المحاضرة الاولى وعندما سألته عن السبب قال انه كان على موعد مع فتاة .

فهمت انه كان نائما ويحلم بهذه المأفونة كما تسميها .

" لم أعد احتمل هذا .. الجميع بلا شك لاحظوا تغيرى ، وربما لاحظوا ايضا عدم مقدرتى على اخفاء مشاعرى تجاه (عمرو) ، وهو الوحيد الذى شغله الحلم عن حقيقة حبى له فلم يعرف كم احبه".

تكتب (داليا) فى مذكراتها وهى تحاول ان تخفف من انفعالاتها التى تكاد تفتك بها :

" قد أفقد الامل فى ان تحبنى ، ولكننى لن احب غيرك يا (عمرو)..

صرت اتمنى ان اظهر انا فى احلامك وانقش حروف اسمى على قلبك بحب لا يمحى "

" مجرد كونى الآن بجانبك يكفينى..

مجرد نظرتى الى عينيك الدامعة لحظة الغروب تجعلنى ادرك ان قلبك عملة صعبة فى هذا الزمن الردئ "..

تكتب (داليا) ، وتكتب، وشوقها يزيد مع كل حرف تكتبه.. شوقها لان تقول له :

- " احبك "

حاولت ان تغير موضوع تفكيرها ..

" (سمر) مازالت تضغط على اعصابى وهى تؤكد ان النار التى رأتها فى الحلم تقترب "

تلعن (سمر) واليوم الذى عرفتها فيه وتتمنى لو لم تحك لها عن اى حلم بعد ذلك .

يشيعون فى الجامعة ان هناك اجازة بمناسبة انعقاد القمة العربية، وان امتحانات هذا العام لابد وان تتصل مباشرة او بصورة غير مباشرة بالسلام والقضية الفلسطينية لا تعرف لماذا تخيلت امتحانات كلية التجارة والسؤال الذى سيكون فى هذه الظروف ؟!

- احسب متوسط سعر الشهيد الفلسطينى الواحد، بعد اى فيتو تصوت به امريكا فى مجلس الامن.

قاطعت ذكرياتها صيحة قادمة من حجرة والدتها .

يبدو انه شجار جديد خاصة وان زوج امها يصيح باعلى صوته ..

كلهم كلاب

امركيا واسرائيل والعرب

ثم سرعان ما استطردت

وزوج امى !!

* * *

(٦) الألـــم

صفحة من مذكرات عمرو الصاوى

اقتربت الامتحانات

بالطبع لا اذاكر - مثل الجميع - الا قبل الامتحانات بشهر او اقل..
انا لا اهتم كثيرا بالتقديرات طالما اننى انجح فى النهاية ، ولكن الغريب اننى احصد تقديرات متميزة تجعل الجميع يظنوننى (سوسة) عندما اخبرهم اننى لا اذاكر الا قبل الامتحانات بقليل .

(منى) و(نرمين) افترقتا الى الابد على ما يبدو رغم ان هذه الاخيرة تركت (حاتم) وعادت الى (منى) نادمة .

(حاتم) نفسه انقطع عن المجئ للكلية بعد ان اصبحت صورته سيئة امام الجميع .

صرت انام اكثر من مرة فى ايام اجازتى حتى احلم بها والجميل انها تأتينى كلما استغرقت فى النوم ولو لفترة قليلة .

صرنا نتحدث اكثر ، ولكنها مازالت بعيدة . تلوح لى وتبتسم دون ان تقترب او تسمح لى بالاقتراب ولو خطوة واحدة .

(داليا) متغيرة بعض الشئ من ناحيتى! .

حاولت ان ابحث عن موقف ضايقها فلم اجد .

ربما حدثتها فيما بعد .

لا استطيع ان اتحمل كونها اكثر صمتا وانطواءاً ، بل - وللعجب - اكثر رقة ، واظنها اكثر جمالا احيانا .

* * *

كانت البداية هادئة .

عاد فلم تحدثه وعندما سألها عن سبب صمتها قالت انها متعبة بعض الشئ .

ظلت تفكر وتحاول ان تتلاشى اى صدام ولكن المواجهة كانت حتمية .

عاد اليوم فى نفس الوقت الذى عاد فيه بالامس فاستقبلته بهدوء وهى تحاول ان تحافظ على هدوء ملامحها دون ان ترتجف نبرة صوتها .

- " اريد التحدث معك ."

- " فيما بعد - انا منهك الان ."

- " منهك !! من العمل ام من السينما ؟ "

تسمر فى مكانه من المفاجأة ..

- " عن اى شئ تتحدثين ؟! "

كان يحاول ان يبدو هادئا هو الاخر ، ولكن الكلمات خرجت مضطربة .

اقتربت منه وهى تسأله :

- " هل كنت فى السينما بالامس ؟ "

تحفزت ملامحه وهو يرد :

- " من اخبرك بهذا الهراء ؟ "

فهمت انه يريد اللف والدوران .. لا بأس .. فلنلعبها بطريقتى :

- " (داليا) اخبرتنى بهذا "

راقبت ملامحه التى لانت تدريجيا وهو يهتف :

- " هذه الوقحة بلغت بها الجرأة هذا الحد .. انها كاذبة ، ومدعية..

تكرهنى وانت تعرفين هذا ولكننى لم اتخيل ابدا ان تدبر لى مثل

هذه المكيدة "

ما خافت منه حدث ، وما تنتظره سيقوله الان :

- " لا يا هانم ، أهم شئ عندى هو كرامتى ، ولقد اهانتها ابنتك"

- " ماذا تعنى ؟ "

- " انا او ابنتك فى هذا المنزل "

سقط كالفأر الساذج فى المصيدة وجاء دورها :

- " هل تريدنى ان اطرد ابنتى من المنزل ؟ "

- " افعلى هذا او اخسرينى الى الابد ."

لا تعرف لماذا اكتشفت فجأة ان كل ذكرى جميلة تحملها له تصلح لان تكون خدعة وقعت فيها .

قال لها انها تحتاج لرجل ، وان ابنتها فى سن خطيرة ويجب ان يقوم رجل بتربيتها فوافقت

قال لها ان زوجها الراحل لم يكن يحبها ، وان كرامته تأبى ان تنزل زوجته الى العمل فى المشروع الذى دخلت فيه بكل اموالها المتبقية فصدقته واحترمت رغبته .

- " توكيل صغير يا حبيبتى سيجعلنى اريحك من عناء كل شئ "

فعلت ، ولم تشك للحظة واحدة فى صدقه..

اقنعتها الاموال التى يعطيها اليها بانه امين على اموالها ولم تكن تعرف انه يخبئ الاضعاف والاضعاف ..

والان يريد ان يفسد عليها علاقتها بابنتها الوحيدة..

- " لم اسمع قرارك "

انتبهت اليه..

ابتسمت ابتسامة غريبة فاربكته!..

- " بالمناسبة .. (داليا) لم ترك . انا التى رأيتك "

- ....

- " من هى ؟ "

- " هذا ليس شأنك "

- " حسنا ، ولكن شأنى الوحيد تصرفت فيه كما ارى "

امتقع وجهه وهو يسألها :

- " ماذا تقصدين ؟ "

صوبت نظرها اليه وهى تقول فى تشفى :

- " لقد الغيت التوكيل ، ولا اريدك فى منزلى ولو للحظة "

نظر اليها بدهشة ولم ينطق سوى بكلمة واحدة فقط كانت هى فصل الختام:

- " انت طالـــق !! "

تركها وانصرف .. بينما جرت هى الى غرفة (داليا) وارتمت فى احضانها وهى تبكى فى الم تجربتها الفاشلة ..

وامـــل فـى اسـتعادة ابنتهـا وثقتهـا بنفسـها لتقـوم بـدور الام الحقيقية حتى تستحق كلمة امى .

* * *

لم استطع امس النوم الا بصعوبة..

انا اكره السياسة وكل من يتصلون بها ، ولكن الاحداث كانت تلح على جميع من يهرب منها ، وتصر على محاصرته فى التليفزيون والراديو والصحف وفى احاديث الناس ومزاح الاطفال وخطب المساجد والكنائس .

قوات الاحتلال الاسرائيلى اجتاحت جنين بعد صمود اسطورى من اهلها ، والذين استشهد معظمهم بعد ان قامت قوات الاحتلال بهدم

المنـازل علـى اصـحابها وقصف العُزّل وقتـل الاطفـال والتمثيل بجثث الشـهداء .

العـالم يشـجب ويـدين والعـرب مـازالوا ظـاهرة صـوتية وقنـاة الجزيـرة تهاجم مصر كالمعتـاد ، وامريكـا لاتـزال العاهرة التـى ترتـدى ثياب الشرف والنزاهة والعدالة المطلقة .

صرت اشعر بالغثيان كلمـا سمعت لفظ الوحدة العربيـة واختنـق عندما يتحدثون عن السلام واموت كلما تذكرت (محمـود ديـاب) وهو يؤكد ان ما نحيا فيه ارض لا تنبت الزهور !

هاجمتنى عبارات افسدت اى مشروع للنوم ..

" ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بها "

(جمال عبدالناصر)

" الى فلسطين طريق واحد يمر من فوهة بندقية "

(نزار قبانى)

" السلام خيار استراتيجى "

كل من هب ودب

الرقابة تقطع العديد من عبارات حمدى قنديل فى برنامج رئيس التحرير وشائعات عن استبعاده والغاء البرنامج

" وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله "

حتى الله سبحانه وتعالى يقول ان جنحوا ... ان..

الاوغاد يقصفون كنيسة المهد والسيد المسيح يجرى مذعورا وتطارده دبابة ترفع صورة السفاح شارون .

الاطفال يزرعون السنابل فتحصدهم القنابل ، وفتاة فلسطينية تطلب من امها ان تقابل خطّابها قبل ان تفجر نفسها بعد ساعات قليلة من مطلبها الاخير .

(فتاة الحلم) تعدنى ان تأتى ولا تأتى ، ولا تكشف عن وجهها او تدعنى اقترب منها .

هل سيولد ابن شقيقتى الذى قد يحمل اسمى فى زمن الاحلام المستحيلة هذا .

كانت بدايات الحمى والهذيان قد نالت منى .

حاولت ان اخاصم دموعى ولكنى لم استطع .

أمازلت غاضبة من شئ لا اعرفه يا (داليا) ؟

أمازلت ابتسم وانا نائم يا امى ؟

قبّلتنى حبيبتى التى لا اعرفها ، ثم ربتت على كتفى فى حنان قبل ان تختفى ..

كالمعتاد .

* * *

(٧) شئ من الحــب

كان الموعد بعد صلاة الظهر فى الجامعة .

بينما كانت (سلمى المصرى) تقلب فى صفحات مجلة قديمة لم تقرأها منذ اشترتها فى اكتوبر الماضى ، كانت تتناول الشى فى رشفات بطيئة وهى تقرأ تحقيق صحفى شدها موضوعه :

(المخابرات المصرية تكشف غموض قضية عمرها ثلاثون عاما)

التقى الرفاق ونسى الجميع اى موعد اخر واسقطوه عمدا من ذاكرتهم ، كل الذين يتهمهم الكثيرون بانهم جيل بلا هدف وجيل بلا قدوة راحوا يهتفون فى طرقات الجامعة :

(بالروح بالدم ، نفديكى يا فلسطين)

يقول التحقيق ان جهاز المخابرات المصرية قرر ان يكشف عن بعض العمليات التى انتهت منذ ما يقرب من ثلاثين عاما بمناسبة الاحتفالات بذكرى حرب اكتوبر ..

حين قتلت (سلمى المصرى) (يوسف) اعتبرت انها فعلت شيئا من اجل الوطن وانها شاركت فى النصر رغما انها لم تكن ضمن قوات الجيش..

(واحد .. اتنين .. الجيش العربى فين ؟!)

الصحفى الذى كتب هذا الموضوع محترف بحق ، يكفى انه جعل (سلمى المصرى) تتابع قراءة الموضوع رغم انه مكتوب على اكثر من خمس صفحات .

طبيعة الموضوع نفسه جعلت سلمى مشدودة وهى تتابع القراءة ..

(بالقرآن والانجيل .. بنعاديكى يا اسرائيل)

كانت المخابرات المصرية قد نجحت فى تدريب العديد من سكان المناطق المحيطة بالارض المحتلة لتجنيدهم فى عملية الخداع الاستراتيجى التى تمت على اعلى مستوى وباشراف مباشر من الرئيس الراحل (محمد انور السادات) الذى استطاع ان يجمع الشعب المصرى بكل فئاته جنبا الى جنب ..

كلهم كانوا جنبا الى جنب ولم تفلح قنابل الدخان او القنابل المسيلة للدموع او حتى خراطيم المياه فى تفريقهم .

(عمرو) و(داليا) و(منى) و(نرمين) و(عصام) و(سمر) و(سماح) و(سمير) و(هانى) وحتى (حاتم) ..

كلهم كانوا هناك .

(كلهم كانوا بصورة اوباخرى فى قلب اسرائيل)

تكمل (سلمى) القراءة وقد شعرت بان قلبها يخفق بشدة .. خاصة مع الجزء الذى يتعلق بالنار التى اشعلتها المقاومة الشعبية

والمجموعات الفدائية فى قلب العدو وفى عمق الاراضى المحتلة .

اهم جزء فى الخطة - كما يقول التحقيق - هو الجزء المتعلق بكيفية اقناع الاسرائيليين ان هؤلاء الناس فعلا عملاء لهم لا للمخابرات المصرية ، وقد نجحت المخابرات المصرية فى هذا لولا ان سقط احد افراد هذه الشبكة بعد ان احرقته نار الشائعات .

- *" اخبرتنى سمر عن حلمها السخيف بنار تحرق الجميع ."*

اندلعت النيران فى وسط المظاهرة ..

اندلعت حينما تلقت احدى الفتيات لطمة قوية من احد جنود الامن المركزى .. ، ثم راحت عصيانهم الغليظة تلوح فى وجه الجميع وتضربهم فى عنف .

- *" النار تقترب "*

راح الطلبة يشتبكون مع جنود الامن المركزى الذين منعوهم من الاقتراب من زملائهم المصابين لاسعافهم ، وراحت الهتافات تدوى ، خاصة عندما حاول احد الجنود منع طالب من احراق علم اسرائيل .

(اسرائيل كانت ذكية عندما اكتشفت ازدواجية احد عملائنا بحيث سربت مخابراتها الى داخل السويس خبر تعاون احد ابنائها معها ، وهو ما جعل الجميع يكرهونه ويبتعدون عنه)

يمتقع وجه (سلمى) .

(داليا ممدوح) تتفادى احدى اللطمات العشوائية من عصيان جنود الأمن المركزى باعجوبة ، فى حين راحت (منى) و(نرمين) تصرخان وتبكيان فى الوقت ذاته والهتافات تدوى كالرعد .

(بالروح .. بالدم .. نفديكى يا فلسطين)

(الشهيد هو الذى يضحى بروحه ودمه من اجل الوطن ، وهو

ما فعله تماما الشهيد الذى ننفرد بنشر صورته فى الاسبوع القادم)

تجرى (سلمى المصرى) كالمذعورة فى ارجاء الفيلا وهى تبحث عن العدد التالى فى لهفة ولوعة .

الهتافات تدوى فى الجامعة ..

(كلنا نهتف جيل ورا جيل بنعاديكى يا اسرائيل)

تجمع بعض الجنود حول قادة المظاهرات وراحوا يضربونهم ويجرجرونهم الى سيارات مصفحة حشروا فيها مع اخرين .

(بالروح .. بالدم ..)

فجأة رأها (عمرو) وهو يهتف ..

كانت تلّوح له من بعيد تماما كما فى الحلم ، وتبتسم كما فى الحلم

ايضاً ،حتى ظن انه فى حلم اخر .

امسكت (سلمى المصرى) بالمجلة اخيرا..

فتحتها بسرعة وعينيها تلتهمان السطور ..

(بالتأكيد كان سيفرح لو عاش قليلا ، فقد قتل فى ظروف غامضة ولم يستطع احد ان يعرف من قتله حتى الآن)

اقترب (عمرو) من (فتاة الحلم) خطوة ، وراحت الهتافات تتراجع وتتراجع وهو يواصل الاقتراب لتصبح فى خلفية صوتها وهى تناديه قائلة :

- " انا هنا "

خيل لـ (عمرو) ان الحياة قد توقفت فتسمر الجميع فى اماكنهم بغتة فيما عداه و(فتاة الحلم) .

اشارت كل ساعات الكون الى موعدهما .

(منذ ايام كانت ذكرى مقتله .. او استشهاده فى سبيل انجاز

تسمرت (سلمى) وتحجرت الدموع فى مقلتيها

راح (عمرو) يقترب من فتاته

ويقترب ..

ويقترب ..

وراحت تقترب منه (فتاة الحلم) .

ورصاصة ..

رصاصة انطلقت فجأة من احدى بنادق جنود الامن المركزى لتستقر فى صدره ..

عند موضع القلب تماما .

(قتلتِ حبيبك يا سلمى)

ولوهلة لم يشعر (عمرو) ان شيئا قد حدث ..

ثم راحت الوجوه والاصوات والاحداث تجرى امام عينيه فجأة..

امه تخبره عن سعر الذهب وابوه يبتسم له فى حنان وشقيقته

تحملــه رضـيعا بـين يـديها وصـوت التتـر المميـز لنشـرة الاخبـار ، و(حمـدى قنـديل) و(عمـرو الصـغير) الـذى لـم يولـد بعـد ، وفرحتـه العذراء الاولى حين كـان يذهب مـع ابيـه الـى صـلاة الجمعـة ليردد مـع المصلين باعلى صوته خلف الامام .. أميـــن .

شهادة تقدير تلقاها لفوزه فى سباق سباحة و (عربيـة يـا ارض فلسطين) وحلمه ان يكون معيدا بعد تخرجه والطفل الرضيع الذى رآه فى برنامج اختراق وقد ازالت قنبلـة اسرائيلية رأسـه التـى لـم تندسـها افكار البشر بعد .

ثم لمح (داليا) تعدو نحوه وعلـى وجهها أعتـى امـارات الفـزع والرعب وأنهار من دموع نساء العالمين ..

سقطت (سلمى) علـى صورة (يوسف) دون ان تنطق بكلمـة واحدة..

سقط (عمرو) على ركبتيه وهو يبتسم ..

حين وصلت اليه (داليا).. نظر فى عينيها وهو يقول :

- " أتعرفين يا (داليا) انك تشبهين (فتاة الحلم) .. بل انها انـتِ..

انها انتِ بالتأكيد . "

توقفت هتافات الجميع بعد ان ادرك معظمهم ما حدث ، ولم يجرؤ احدهم على فعل شئ سوى البكاء وقد احاطوا بـ (عمرو) و(داليا) التى احاطت ذراعاها برأسه فابتسم وهو يقول فى صعوبة ووهن :

- " على فكرة .. انا لم ابك فى نهاية فيلم (حافية على جسر الذهب) .. لاننى لم اره من قبل "

حاولت ان تتكلم لولا ان وضع انامله على فمها وهو يقول :

- " احبك يا (داليا) . كنت انت دائما "

سعل دما ولكنه واصل :

- " ياالله .. كلمة احبك تبدو جميلة للغاية يا (داليا) حين تقترن باسمك ".

كانت الدماء تتفجر من صدره عندما رأت (داليا) ذلك النور الذى لم يره احد سواها ..

نور انبعث من وجهه ليحيط بهما فقط ..

احتضنته ولم تبال بالجميع وهى تهتف :

- " احبك يا (عمرو) "

همس فى اذنها :

- " قولى لـ (غادة) لو انجبت بنتا ان اسم (داليا) ايضا جميل "

قاطعته :

- " لا يا (عمرو) .. ستقول لها انت يا حبيبى "

اتسعت ابتسامته وهو يردد :

- " لا اله الا الله "

- " محمد رسول الله "

اتسعت ابتسامته اكثر واكثر قبل ان يسبل جفنيه لمرة اخيرة .

شعرت (داليا) وكأن روحها تسحب من داخلها ، وان مائة قطار قد صدم رأسها مباشرة والنور يتراجع ويتراجع ، قبل ان يتلاشى تدريجيا مع صوت سارينة سيارة الاسعاف التى راحت تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ومع اقترابها راح الجميع يختفون من حولها ولم يعد هناك سواها مع (عمرو) .

(قبلتنى حبيبتى التى لا اعرفها ثم ربتت على كتفى فى حنان)

اودعت قبلتها الاولى والاخيرة كل معانى الحب

وتطلعت بنظرة غائمة الى جثته ودمائه الطاهرة التى راحت تنبت حولهما أزهارا وبعض إبتسامات عذارى لأطفال من الجنة بهم شئ ما..

شئ من الحب .

* * *

تمت بحمد الله وفضله

إهـــداء

الى صديقى الذى لا يعرفنى ..

(محمد السقا) ..

الذى تقابل مصادفة مع رصاصة انطلقت غدراً من إحدى بنادق جنود الأمن المركزى ، فى مظاهرات جامعة الاسكندرية ..

فأسكنته داراً خيراً من داره ، وأبدلته أهلاً خيراً من اهله..

وبقينا نحن نذكره..

وننتظر رصاصة مثلها!

محمد فتحى

٢٠٠٣/١/٦

M_fathy_2002@hotmail.com

قائمة مطبوعات

دار ليلى للنشر و الإعلان

شئ من الحب (رواية) محمد فتحي
هناك من يرحل وحيداً (قصص قصيرة) محمد سامي
ماتستهليش (شعر غنائي) عبدالله شلبي
رباعيات في حب ليلىً (رباعيات) عبدالله الشوربجي
كاظم الساهرو نزار قباني .. حافية القدمين وحين رحلتي يا بلقيس وائل سعد

* * *

تحت الطبع

رسائل شوق (شعر) طارق فوده
باعلن حداد الوحدة (شعر غنائي) عبدالله شلبي
سلسلة : الصبايا المِلاح نهى ناجي
يصدر منها : ١ – جمالك في صحتك ٢- شياكة بدون تكاليف

سلسلة : رحاب التقوى
يصدر منها : ١- ضروريات في المعاشرة الزوجية ٢- آداب الزفاف
٣- الزواج العرفي ٤ – لماذا أسلموا؟

*